شَرْحُ
المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّةِ
(٣)

تأليفُ الإِمَام الرّبانيِّ
أَبِي العَبّاس أحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ
(ت٨٩٩هـ)

باعتناء
نزار حمادي





شَرْحُ المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّةِ (٣)

الكتاب: شرح المناجاة العطائية (٣)

المؤلِّف: الإمامُ أبو العباس أحمد زروق الفاسي (ت٨٩٩هـ)

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

شَرْحُ

المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّة (٣)

تأليفُ الإمَام الرَّبانِيّ

أَبِي العَبَّاس أَحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ

(ت٨٩٩هـ)

باعتناء

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

(إِلَهِي أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ)؛ إِذْ لَيْسَ وُجُودُهُ مِنِّي، وَلَا دَوَامُهُ لِي، وَلَا بَقَاؤُهُ مِنْ عِنْدِي، (فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي) الذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُ أَحْوَالِي، وَهُوَ غَايَةُ أَمْرِي.

(إِلَهِي أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي) إِذْ هُوَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ وَالمَعْلُومَاتِ، (فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي) الذِي هُوَ أَصْلِي وَفَصْلِي.

(إِلَهِي إِنَّ اخْتِلاَفَ تَدْبِيرِكَ) فِي الكَائِنَاتِ، (وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ) الجَارِيَةِ عَلَى المَخْلُوقَاتِ، (مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ) فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ وَعُمُومِ الأَوْقَاتِ (عَنِ السُّكُونِ إِلَى عَطَاءٍ) إِذْ لَيْسُوا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ بَقَائِهِ، (وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاَءٍ) إِذْ تَحَقَّقُوا أَنَّكَ المُوجِبُ لِإِمْضَائِهِ.

(إِلَهِي مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي) مِنَ الإِسَاءَةِ وَالإِجْرَامِ، (وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ) مِنَ الإِحْسَانِ وَالإِكْرَامِ، فَعَامِلْنِي بِمَا يَلِيقُ بِوَصْفِكَ، لاَ بِمَا يَلِيقُ بِوَصْفِي، وَوَاجِهْنِي بِحِلْمِكَ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَقْتَضِيهِ حَالَتِي.

(إِلَهِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي) إِذْ وَصْفُكَ قَدِيمٌ، بِخِلَافِ وَصْفِي، (أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي) حَاشَاكَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ الكَرِيمُ المُتَفَضِّلُ الَّذِي مَنَنْتَ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَبَدَأْتَ بِالإِحْسَانِ وَالإِفْضَالِ.

(إِلَهِي إِنْ ظَهَرَتِ المَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ، وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ) إِذْ ضَعْفِي يَقْتَضِي لُزُومَ وَصْفِي مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالنَّقْصِ وَالعَمَلِ فِي مُوجِبَاتِ الخُسْرَانِ وَالنَّحْسِ، (وَإِنْ ظَهَرَتِ المَسَاوِئُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ) حُجَّتُكَ البَالِغَةُ وَهِيَ

أَنَّكَ مَالِكٌ وَإِنِّي مَمْلُوكٌ، وَالعَبِيدُ لَا تُسَاوِي المُلُوكَ، وَالنَّقْصُ لِوَصْفِي مُلَازِمٌ، وَالكَمَالُ لِوُجُودِكَ لَازِمٌ.

(إِلَهِي كَيْفَ تَكِلُنِي) لِأَحَدٍ سِوَاكَ (وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي) قَبْلَ خَلْقِي؛ إِذْ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ وَكِيلًا، بَلْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ بِإِيجَادِي، وَبِأَنْ كُنْتَ بِرِزْقِي كَفِيلًا. (وَكَيْفَ أُضَامُ وَأَنْتَ النَّاصِرُ لِي) إِذْ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ النَّصِيرَ قَبْلَ وُجُودِي، بَلْ حَقَّقْتَ ذَلِكَ بِبَيَانِ طَرِيقِكَ وَإِيضَاحِ تَحْقِيقِكَ، غَيْر أَنِّي تَخَاذَلْتُ عَنِ الاسْتِنْصَارِ بِنَصْرِكَ، وَلَمْ أَعْتَمِدْ بِجَهْلِي عَلَى وكَالَتِكَ، بَلِ الْتَفَتُّ لِغَيْرِكَ، فَلَا تَخْذُلْنِي وَإِنْ كُنْتُ مُسْتَنْصِرًا بِمَنْ عَدَاكَ، وَلَا تَكِلْنِي وَإِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى سِوَاكَ.

(أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ) فِي مَطَالِبِي (وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي) وَالعَلِيمُ بِكُلِّ مَآرِبِي، فَكَمَا كُنْتَ لِي حِينَ لَمْ أَكُنْ، فَكُنْ لِي حَتَّى لَا أَكُونَ لِنَفْسِي.

(هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ) إِذْ لَيْسَ لِلْفَقِيرِ مَا يَقْدُمُ بِهِ عَلَى الغَنِيِّ سِوَى فَقْرِهِ، (وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ) إِنَّمَا هِيَ أَوْصَافِي وَمَعَانِيهَا تَجَلَّتْ، وَعَلَى وُجُودِ فَضْلِكَ بِمَا أَوْلَيْتَهَا دَلَّتْ، فَلَا وَسِيلَةَ لِي إِلَيْكَ سِوَاكَ، وَلَا مُوصِلَ إِلَيْكَ إِلَّا إِيَّاكَ، فَاشْفَعْ لِي بِنَفْسِكَ عِنْدَ نَفْسِكَ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَلْقَاكَ، فَقَدْ صَحَّ فَلَسِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَأَيْتُ اضْطِرَارِي إِلَيْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحَقَّقَ عَبْدُكَ فَضْلَكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهَا أَنَا ذَا مُقِيمٌ عَلَى بَابِكَ الكَرِيمِ، مُلْتَفِتٌ لِإِحْسَانِكَ العَظِيمِ، وَأَنْتَ العَلِيمُ بِمَا هُوَ مَطْلَبِي مِنْكَ، وَبِأَيِّ سَبَبٍ تَوَجُّهِي إِلَيْكَ.

(أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ)، وَكَيْفَ تَخْفَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ العَلِيمُ الخَبِيرُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَلَيْكَ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، (أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي) وَآخُذُ فِي شَرْحِ أَحْوَالِي القَبِيحَةِ الذَّمِيمَةِ وَهِمَّتِي القَاصِرَةِ السَّقِيمَةِ (وَهُوَ

مِنْكَ بَرَزَ، وَإِلَيْكَ) يَعُودُ أَمْرُهُ أَوَّلًا وَآخِرًا وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ إِذْ أَنْتَ الْمُقَدِّرُ عَلَى الإِطْلَاقِ، الَّذِي لَا يَشُذُّ عَنْ قَبْضَتِكَ مَقْدُورٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِكَ تَصَارِيفُ الأُمُورِ.

(أَمْ كَيْفَ تَخِيبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ) وَإِنْ كَانَتْ فِي وُفُودِهَا مَدْخُولَةً مَعْلُولَةً، فَهِيَ بِالطَّمَعِ فِي كَرَمِكَ مَوْصُولَةٌ، وَالظَّنُّ بِكَ أَنْ لَا تُخَيِّبَ القَاصِدِينَ وَلَا تُهْمِلَ الوَارِدِينَ.

(أَمْ كَيْفَ لاَ تَحْسُنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ) إِذْ مِنْكَ وُجُودُهَا، وَعَلَيْكَ اتِّكَالِي فِي إِصْلَاحِهَا، (وَإِلَيْكَ) مَرْجِعُهَا وَمَعَادُهَا، وَإِنْ كَانَ فِي قِيَامِهَا ضَعْفٌ فَالتَّعَلُّقُ بِجَانِبِ الكَرَمِ لَا يُحْوِجُ إِلَى التَّأْثِيرِ بِالعَدَمِ.

(إِلَهِي مَا أَلْطَفَكَ بِي) ؛ إِذْ فَتَحْتَ لِي بَابَ التَّعَلُّقِ بِكَ وَالاسْتِنَادِ إِلَيْكَ وَالاسْتِدْلَالِ عَلَيْكَ، (مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي) المُلَازِمِ لِي فِي حَالِي وَقَوْلِي وَفِعْلِي، (وَمَا أَرْحَمَكَ بِي) إِذْ

أَمْهَلْتَنِي وَنَدَبْتَنِي لِلتَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِي (مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي) أَعْصِي فَتَسْتُرُ، وَأَتُوبُ فَتَغْفِرُ، وَآكُلُ رِزْقَكَ وَأَعْصِي أَمْرَكَ فَلَا تَقْطَعُ مَا عَوَّدْتَنِي مِنْ خَيْرِكَ، مَا أَرْحَمَكَ وَأَلْطَفَكَ.

(إِلَهِي مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي)؛ إِذْ لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْ وُجُودِي إِلَّا عَنْ أَمْرِكَ، (وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ) بِٱشْتِغَالِي بِمَا هُوَ دَلِيلُ قُرْبِكَ مِنِّي، فَبِذُلِّي فِي بُعْدِي وَعِزِّكَ فِي قُرْبِك، قَرِّبْنِي إِلَيْكَ كَمَا قَرَّبْتَ أَهْلَ حُبِّك.

(إِلَهِي مَا أَرْأَفَكَ بِي)؛ إِذْ لَمْ تَدَعْ نَفْعًا إِلَّا وَصَّلْتَهُ لِي وَدَلَلْتَنِي عَلَيْهِ، وَلَمْ تَدَعْ خَيْرًا إِلَّا وَقَدِ ٱعْتَنَيْتَ بِٱجْتِلَابِي إِلَيْهِ، (فَمَا ٱلَّذِى يَحْجُبُنِي عَنْكَ) وَكُلُّ شَيْءٍ دَلِيلٌ عَلَيْكَ؟! وَمَا الَّذِي يَصْرِفُنِي عَنْكَ وَكُلُّ شَيْءٍ مُوصِلٌ إِلَيْكَ؟! لَكِنْ وُجُودُ العِنَايَةِ مِنْكَ هِيَ المُحَقِّقَةُ لِذَلِكَ، وَالمُوصِلَةُ لِمَا هُنَالِكَ.

(إِلَهِي قَدْ عَلِمْتُ بِٱخْتِلاَفِ الآثَارِ وَتَقَلُّبَاتِ الأَطْوَارِ) مِنَ الصِّحَّةِ وَالمَرَضِ، وَٱعْتِرَاضِ الغَرَضِ وَالعَرَضِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ (أَنَّ مُرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ) إِذْ هُوَ دَلِيلُ قُرْبِكَ إِلَيَّ، (حَتَّى لاَ أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ) فَلَا يَكُونَ لِشَيْءٍ سِوَاكَ سُلْطَانٌ عَلَيَّ.

(إِلَهِي كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي) وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ دَنَاءَةِ الوَصْفِ وَقُبْحِ الحَال (أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ) الَّذِي لَا تُقَيِّدُهُ الأَعْمَالُ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى وُجُودِ الأَحْوَالِ (وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي) بِمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ القُبْحِ وَالدَّنَاءَةِ وَالتَّقْصِيرِ، (أَطْمَعَتْنِي مِنَّتُكَ) الَّتِي لَا تَتَقَيَّدُ بِعِلَّةٍ وَلَا تَنْدَفِعُ بِزَلَّةٍ.

(إِلَهِي مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي) لِمُصَاحَبَتِهَا بِالعِلَلِ وَالآفَاتِ (فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِي) مَعَ أَنَّهَا لَازِمَةٌ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، (وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِي) إِذْ لَيْسَ لَهُ مِنْهَا فِي الحَقِيقَةِ شَيْءٌ، (فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي) مَعَ

أَنَّهَا لَازِمَةٌ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَتَعَطَّفْ عَلَى مُسِيئِكَ بِإِحْسَانِكَ، وَانْظُرْ لِفَقِيرِكَ بِعَيْنِ ٱمْتِنَانِكَ، فَقَدْ صَحَّ فَقْرُهُ وَصَحَّ إِفْلَاسُهُ إِلَّا مِنْ فَضْلِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(إِلَهِي حُكْمُكَ النَّافِذُ) فِي عِبَادِكَ، (وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ) لِخَلْقِكَ، (لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالًا) حَتَّى يَدَّعِيَ بِهِ أَوْ يَدُلَّ، (وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالًا) حَتَّى يُثْبِتَ لِنَفْسِهِ مَا يَدَّعِيهِ؛ إِذْ كُلَّمَا أَرَادَ ذَلِكَ مَنَعَهُ مِنْهُ تَقَلُّبُ الأَحْوَالِ وَسُرْعَةُ الزَّوَالِ.

(إِلَهِي كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا) حَتَّى قَامَتْ فِي نَظَرِي، (وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا) حَتَّى لَمْ يَجُلْ فِي غَيْرِهَا فِكْرِي، (هَدَمَ ٱعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ) بِظُهُورِ المَسَاوِي وَالدَّعَاوِي، (بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ) إِذْ حَرَّرَنِي مِنْ رِقِّ الٱعْتِمَادِ عَلَيْهَا، وَأَخْرَجَنِي مِنْ سِجْنِ الٱسْتِنَادِ إِلَيْهَا، نَظَرًا إِلَى أَنَّ وُجُودَهَا مِنْ فَضْلِكَ، وَتَكْمِيلَهَا مِنْ مِنَّتِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ قَدْرِكَ.

(إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَّاعَةُ مِنِّي فِعْلاً جَزْمًا) فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَالحَالَاتِ، (فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَعَزْمًا) وَهَذَا مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَجُودِكَ وَٱمْتِنَانِكَ، فَٱمْنُنْ عَلَيَّ بِتَصْحِيحِ عَزْمِي وَالعَمَلِ لَكَ بِمَا يُرْضِيكَ، لَا بِمَا هُوَ مِنْ حُكْمِي، وَأَدِمْ ذَلِكَ عَلَيَّ حَتَّى أَلْقَاكَ.

(إِلَهِي كَيْفَ أَعْزِمُ وَأَنْتَ القَاهِرُ) الَّذِي لَا فِعْلَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، (وَكَيْفَ لا أَعْزِمُ وَأَنْتَ الآمِرُ) الَّذِي لَا بُدَّ لِلعَبْدِ مِنْ طَاعَتِهِ، لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، فَهَبْ لِي حَوْلًا وَقُوَّةً أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى طَاعَتِكَ.

(إِلَهِي تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ) بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا (يُوجِبُ بُعْدَ المَزَارِ) وَهُوَ الأُنْسُ بِهَا وَالٱعْتِمَادُ عَلَيْهَا، (فَٱجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ) حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْهَا فِي كُلِّ وَجْهٍ أَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ، وَأَكُونَ بِكَ فِيهَا وَلَكَ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِ الشُّهُودِ وَالخُرُوجِ عَنِ المَعْهُودِ.

(إِلَهِي كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ) وَهِيَ الآثَارُ الحَادِثَةُ وَالمَوْجُودَاتُ الكَائِنَةُ؟! (أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ) وَأَنْتَ مُظْهِرُ المَظَاهِرِ (حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرَ لَكَ؟!) هَذَا مَا لَا يُتَصَوَّرُ بِوَجْهٍ وَلَا بِحَالٍ، وَلَكِنَّكَ أَظْهَرْتَ مَا أَظْهَرْتَ، فَظَهَرْتَ بِمَا أَظْهَرْتَ.

(مَتَى غِبْتَ حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ) وَأَنْتَ الظَّاهِرُ بِلَا عِلَّةٍ؟! (وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ) وَأَنْتَ القَرِيبُ الحَاضِرُ؟! ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

(إِلَهِي عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا) حَتَّى لَا تُرَاقِبَ سِوَاكَ لِعِلْمِهَا بِأَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ طَرْفِهَا، (وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا) وَإِنْ عَمِلَ مَا عَمِلَ؛ لِأَنَّ الإِحْسَانَ لَا يَنْفَعُ مَعَ البُغْضِ مِنْكَ، وَالإِسَاءَةَ لَا تَضُرُّ مَعَ الحُبِّ مِنْكَ، وَمَا أَحَبَّكَ أَحَدٌ حَتَّى سَبَقَتِ المَحَبَّةُ

مِنْكَ لَهُ، فَٱجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرَاكَ عَلَيْهِ رَقِيبًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ سِوَاكَ حَبِيبًا.

(إِلَهِي أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ) عُبُودِيَّةً وَتَحْقِيقًا لِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ، (فَأَرْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكُسْوَةِ الأَنْوَارِ) حَتَّى لَا تَعْدُوَ عَلَيَّ ظُلْمَتُهَا، (وَهِدَايَةِ الاَسْتِبْصَارِ) حَتَّى لَا تَغُرَّنِي زَهْرَتُهَا وَلَا تُصِيبَنِي كُدُورَتُهَا، بَلْ (حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا) بِالعُبُودِيَّةِ التَّامَّةِ عَلَى بِسَاطِ المَعْرِفَةِ الكَامِلَةِ، (كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا) فِي بِدَايَةِ السُّلُوكِ عِلْمًا بِهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ، وَٱجْعَلْ ذَلِكَ حَالَةَ كَوْنِي (مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا) بِٱسْتِغْرَاقِي فِي النَّظَرِ إِلَيْكَ، (وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاَعْتِمَادِ عَلَيْهَا) بِالٱعْتِمَادِ عَلَيْكَ وَوُجُودِ الٱسْتِنَادِ إِلَيْكَ، (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ) يَا نِعْمَ المَوْلَى وَيَا نِعْمَ النَّصِيرِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا فِي مُنَاجَاتِهِ: (إِلَهِي هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ) ظَاهِرًا وَبَاطِنًا (بَيْنَ يَدَيْكَ) لِثُبُوتِ فَقْرِي وَعَجْزِي وَذُلِّي

وَضَعْفِي ، (وَهَذَا حَالِي لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ) وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ قَبِيحِ وَصْفِي ، إِذْ مِنْكَ بَرَزَ وَإِلَيْكَ ، (مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْكَ) إِذْ لَا مُوصِلَ إِلَيْكَ سِوَاكَ ، (وَبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ) إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَيْكَ إِلَّا إِيَّاكَ ، وَأَنْتَ وَلَّيْتَ العَوَالِمَ تَوْصِيلَ ذَلِكَ ، فَأَنْتَ عَلَى الحَقِيقَةِ الَّذِي أَوْلَيْتَ مَا هُنَالِكَ ، (فَٱهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ) لَا بِنُورِ عَقْلِي ، وَٱجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِمُشَاهَدِة أَصْلِي وَفَصْلِي حَتَّى لَا أَفْتَقِرَ إِلَى دَلِيلٍ وَلَا تَوْصِيلٍ ، (وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ) إِذْ ذَلِكَ أَشْرَفُ أَحْوَالِي عِنْدَكَ وَأَقْرَبُهَا فِيمَا يُحَقِّقُ لِي وُدَّكَ .

(إِلَهِي عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ) حَتَّى أَعْبُدَكَ عَلَى عَيْنِ المَعْرِفَةِ وَاليَقِينِ ، (وَصُنِّي بِسِرِّ ٱسْمِكَ الْمَصُونِ) الَّذِي وَاجَهْتَ بِهِ أَهْلَ التَّمْكِينِ ، حَتَّى لَا يَصِحَّ مِنِّي ٱلْتِفَاتٌ لِشَيْءٍ ، وَلَا طَلَبٌ لِغَيْرٍ ، وَلَا إِلْمَامٌ بِعَيْبٍ .

(إِلَهِي حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ) مِنَ المُرَاقَبَةِ لَكَ وَالمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْكِ، (وَٱسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ) مِنَ الٱكْتِفَاءِ بِكَ، وَالفَنَاءِ فِي تَوْحِيدِكَ، فِي سُهُولَةٍ بِلَا تَعَبٍ، وَتَحْصِيلٍ بِلَا طَلَبٍ.

(إِلَهِي أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي) حَتَّى لَا أُدَبِّرَ مَعَكَ نَظَرًا مِنِّي لِوُجُودِ تَدْبِيرِكَ، (وَبِٱخْتِيَارِكَ لِي عَنِ ٱخْتِيَارِي) حَتَّى لَا أَخْتَارَ عَلَيْكَ ٱكْتِفَاءً بِٱخْتِيَارِكَ؛ إِذْ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، (وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ ٱضْطِرَارِي) مِنَ الضَّعْفِ وَالعَجْزِ وَالذُّلِّ وَالفَقْرِ فِي كُلِّ تَقَلُّبَاتِي، بِوَجْهٍ مِنَ اللُّطْفِ وَالعَافِيَةِ، لَا بِوَجْهٍ مِنَ النِّقَمِ وَالبَلِيَّةِ.

(إِلَهِي أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي) حَتَّى لَا أَجْلِبَ لَهَا وَلَا أَدْفَعَ عَنْهَا إِلَّا لِأَجْلِكَ، (وَطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وَشِرْكِي) اللَّذَيْنِ دَلَّ عَلَيْهِمَا وُجُودُ ٱخْتِيَارِي مَعَكَ وَٱعْتِرَاضِي عَلَيْكَ (قَبْلَ

حُلُولِ رَمْسِي) لِأَتَدَارَكَ مَا فَاتَ وَأُحْيِيَ مَا مَاتَ، وَأَكُونَ بِالعُبُودِيَّةِ لَكَ فِيمَا بَقِيَ لِي مِنَ الأَوْقَاتِ.

(إلهي بِكَ أَسْتَنْصِرُ) إِذْ لَا نَاصِرَ عَلَى الحَقِيقَةِ سِوَاكَ، (فَٱنْصُرْنِي) وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ صَادِقٍ فِي ٱسْتِنْصَارِي، (وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ) إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى كِفَايَتِي سِوَاكَ، (فَلاَ تَكِلْنِي) لِغَيْرِكَ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فِي ٱدِّعَائِي لِذَلِكَ، (وَفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ) إِذْ لَيْسَ لِي فِي الدَّارَيْنِ غَيْرُهُ، (فَلاَ تَحْرِمْنِي) وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا الأَدَبَ فِي رَغْبَتِي.

(وَلِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ) إِذْ لَيْسَ ثَمَّ أَعْلَى مِنَ ٱلْٱنْتِسَابِ إِلَيْهِ وَلَا أَمْنَعَ، (فَلاَ تُبْعِدْنِي) وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُتَحَقِّقٍ فِي ٱنْتِسَابِي، (وَبِبَابِكَ أَقِفُ) إِذْ كُلُّ بَابٍ دُونَهُ مُغْلَقٌ دُونِي لِعِلْمِي بِكَرَمِكَ (فَلاَ تَطْرُدْنِي) وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الجَفَاءِ حَيْثُ أَنَا، فَأَنْتَ مِنَ الجُودِ وَالكَرَمِ حَيْثُ أَنْتَ، (وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ) فِي مُهِمَّاتِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ أَقُمْ بِحَقِّ السُّؤَالِ،

(فَلَا تُخَيِّبْنِي) وَإِنْ كَانَ السُّؤَالُ بِالصُّورَةِ لَا بِالحَقِيقَةِ، فَإِنَّ فَضْلَكَ أَتَمُّ، وَجُودُكَ أَعَمُّ، وَأَنْتَ أَكْبَرُ وَأَكْرَمُ.

(إِلَهِي تَقَدَّسَ رِضَاكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ) لِبُعْدِ أَوْصَافِكَ الإِلَٰهِيَّةِ عَنِ العِلَلِ، (فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي) مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ؟! فَعَامِلْنِي بِأَفْضَالِكَ، وَلَا تَنْظُرْ لِأَفْعَالِي إِذْ لَيْسَتْ عِلَّةً فِي أَفْعَالِكَ، (أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي؟!).

(إِلَهِي إِنَّ القَضَاءَ وَالقَدَرَ غَلَبَانِي) حَتَّى وَقَعْتُ فِيمَا وَقَعْتُ، وَهَذَا مِنِّي ٱعْتِرَافٌ بِحُقُوقِ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا ٱحْتِجَاجٌ فِي إِسْقَاطِ العُبُودِيَّةِ، (وَإِنَّ الهَوَى بِوَثَاقِ الشَّهَوَاتِ أَسَرَنِي) حَتَّى فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، وَهَذَا مِنِّي رُجُوعٌ إِلَى العُبُودِيَّةِ، وَقَدِ ٱعْتَمَدْتُ عَلَيْكَ فِيمَا هُنَالِكَ؛ لِعِلْمِي بِأَنَّكَ القَادِرُ عَلَى صَرْفِ ذَلِكَ، (فَكُنْ أَنْتَ النَّاصِرَ لِي) بِمَا تَوَجَّهَ مِنْ آثَارِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ المُوجِبَةِ لِلنُّورِ النَّاصِرِ لِلقَلْبِ عَلَى

النَّفْسِ، وَأَتْمِمْ لِي نُورِي (حَتَّى تَنْصُرَنِي) عَلَى نَفْسِي وَعَقْلِي وَرُوحِي بِمَا تَهَبُ لِي مِنْ عُلُومِ الأَحَدِيَّةِ وَشُهُودِ الفَرْدَانِيَّةِ، (وَتَنْصُرَ بِي) عِبَادَكَ الَّذِينَ أَرَدْتَهُمْ لِعِنَايَتِكَ، فَأَكُونَ هَادِيًا مَهْدِيًّا، بِسِرِّ عِنَايَتِكَ وَفَضْلِكَ بِلَا وَاسِطَةٍ.

(وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا أَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ، بَلْ (حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي) ٱكْتِفَاءً بِمَا قَسَمْتَ لِي، وَنَظَرًا لِعِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ فِيمَا بِهِ تَوَلَّيْتَنِي، كَمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِأَهْلِ جَنَابِكَ، وَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ.

(أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ) وَأَحْبَابِكَ (حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ) فَزَالَتْ عَنْهُمُ الشُّكُوكُ وَالظُّنُونُ وَالأَوْهَامُ، (وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى غَيْرِكَ) بَلْ أَغْنَيْتَهُمْ حَتَّى عَنِ الطَّلَبِ مِنْكَ بِتَزْكِيَةِ أَحْوَالِهِمْ وَتَيْسِيرِ آمَالِهِمْ.

(أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ) بِإِشْهَادِهِمْ جَلَالَكَ وَجَمَالَكَ، (حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ العَوَالِمُ) بِمَا صَدَرَ مِنْها مِنَ المَضَارِّ، وَبِعَدَمِ نَفْعِهَا لَهُمْ فِي جَلْبِ المَسَارِّ، (وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ إِلَيْكَ بِنُورِ عِنَايَتِكَ وَفَضْلِ رَحْمَتِكَ، (حَتَّى ٱسْتَبَانَتْ لَهُمُ المَعَالِمُ) المُسْتَفَادَاتُ مِنَ المُجَاهَدَاتِ، المُقَرِّبَةِ مِنْ حَقَائِقِ المُوَاصَلَاتِ.

(مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ) وَإِنْ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ وَالكَرَامَاتِ؟! (وَمَا ٱلَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا مَالٌ وَلاَ كَرَامَةٌ وَلَا تَصَرُّفٌ وَلَا حَالٌ؟!.

(لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا) إِذْ لَا سِوَاكَ إِلَّا حَقِيرٌ ذَلِيلٌ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ فَقِيرٌ لَئِيمٌ، (وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلًا) إِذْ بَاعَ العَالِيَ ـ وَهُوَ التَّعَلُّقُ بِكَ ـ بِالدُّونِ، وَتَرَكَ المَوْجُودَ وَأَقْبَلَ عَلَى المَعْدُومِ.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ

وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَهُ مِنْ عِوَضِ

(إِلَهِي كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ) فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِي، عَاصِيًا كُنْتُ أَوْ طَائِعًا، مُعَافًى أَوْ مُبْتَلًى (وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الْامْتِنَانِ) الَّتِي لَوْلَاهَا مَا قَامَ وُجُودِي؛ إِذْ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَ الجَمِيعَ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ وَلَا يَلْحَقُكَ نُقْصَان.

(يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَابَهُ حَلاَوَةَ مُؤَانَسَتِهِ) ٱلَّتِي يَغِيبُ نَعِيمُ الجَنَّةِ فِي لَحْظَةٍ مِنْهَا، (فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ) لِلتَّلَذُّذِ بِهَا فِي الأَسْحَارِ وَغَيْرِهَا.

(وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلاَبِسَ هَيْبَتِهِ) ٱلَّتِي لَا يَقُومُ شَيْءٌ لِوُجُودِهَا، (فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ) حَتَّى ٱسْتَظْهَرُوا بِالقُوَّةِ عَلَى نُفُوسِهِمْ وَغَيْرِهَا.

(أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ الذَّاكِرِينَ) إِذْ لَوْ لَمْ تَذْكُرْهُمْ مَا ذَكَرُوكَ، وَلَوْ لَمْ تَذْكُرْهُمْ بِوُجُودِ الإِحْسَانِ مَا ذَكَرُوكَ بِالقَلْبِ وَلَا بِاللِّسَانِ.

(وَأَنْتَ البَادِئُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ) إِذْ لَوْ لَمْ تُوَاجِهْهُمْ عِنَايَتُكَ مَا تَوَجَّهُوا إِلَيْكَ.

(وَأَنْتَ الجَوَادُ بِالعَطَاءِ مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ) إِذْ لَوْ لَمْ تُلْهِمْهُمُ الطَّلَبَ مَا طَلَبُوكَ.

(وَأَنْتَ الوَهَّابُ) لِلأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، (ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِنَ المُسْتَقْرِضِينَ) رَحْمَةً مِنْكَ وَلُطْفًا بِعَبْدِكَ، وَتَنَزُّلًا لَهُ حَتَّى يَنَالَ مِنْ رَحْمَتِكَ الَّتِي لَا تُنَالُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَصِحُّ ٱسْتِقْرَاضُ الغَنِيِّ عَلَى الإِطْلَاقِ مِنَ الفَقِيرِ عَلَى الإِطْلَاقِ؟!.

(إِلَهِي ٱطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ) إِذْ كُلُّ شَيْءٍ بَدَا مِنْكَ وَيَعُودُ إِلَيْكَ، (وَٱجْذِبْنِي بِمِنَّتِكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ) إِذْ لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِإِقْبَالِي وُجُود.

(إِلَهِي إِنَّ رَجَائِي لاَ يَنْقَطِعُ عَنْكَ) فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، بَلْ يُلَازِمُنِي (وَإِنْ عَصَيْتُكَ) لِعِلْمِي بِأَنَّ إِفْضَالَكَ لَا يَقْطَعُهُ فِعْلِي، (كَمَا أَنَّ خَوْفِي لاَ يُزَايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ) لِعِلْمِي بِأَنَّ مَا عِنْدَكَ لَا أَنَالُهُ بِعَمَلِي.

(إِلَهِي قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ) إِذْ لَمْ أَجِدْ مِنْهَا إِلَّا عَائِقًا أَوْ مَانِعًا، أَوْ عَارِضًا أَوْ مُضِرًّا لَا نَافِعًا، (وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ عَلَيْكَ) فَبِقَدْرِ دَفْعِ العَوَالِمِ لِي وَتَحَقُّقِي بِذَلِكَ يَكُونُ فِرَارِي مِنْهَا، وَبِقَدْرِ عِلْمِي بِكَرَمِكَ يَكُونُ إِقْبَالِي عَلَيْكَ بِالإِعْرَاضِ عَنْهَا.

(إِلَهِي كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي) الَّذِي تَعَلَّقَ قَلْبِي بِفَضْلِهِ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ لَا يَخِيبُ، (أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ

مُتَّكِلِي) إِذْ لَمْ أَجِدْ غَيْرَكَ قَادِرًا عَلَى إِذْهَابِ عِلَلِي وَغُفْرَانِ زَلَلِي وَإِصْلَاحِ عَمَلِي.

(إِلَهِي كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَفِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي) إِذْ خَلَقْتَنِي فَقِيرًا لِمَا يَقُومُ بِهِ أَوَدِي، وَجَعَلْتَهُ عَلَى يَدِ عِبَادِكَ فَأَحْوَجْتَنِي إِلَى فَقِيرٍ مِثْلِي وَإِنْ كَانَ نَيْلُ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنِّي، (أَمْ كَيْفَ لاَ أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي) إِذْ جَعَلْتَنِي عَبْدَكَ، وَأَهَّلْتَنِي لِقَبُولِ نَهْيِكَ وَأَمْرِكَ.

(إِلَهِي كَيْفَ لاَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ ٱلَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي) إِذْ جَعَلْتَنِي فَقِيرًا لِكُلِّ فَقِيرٍ، (أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي) حَتَّى كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي هِمَّتِي ذَلِيلًا حَقِيرًا، فَسُبْحَانَكَ يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ يَا عَزِيزُ يَا غَنِيُّ يَا قَدِيرُ.

(أَنْتَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ) فَيُعْبَد، وَلَا رَبَّ سِوَاكَ فَيُقْصَد، (تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ) بِمَا أَلْزَمْتَهُ مِنْ أَوْصَافِهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَوْصَافِكَ، (فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ) لِٱرْتِبَاطِ عِلْمِهِ بِكَ

بِضَرُورَاتِهِ، (وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ) بِظُهُورِ آثَارِ أَوْصَافِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، (فَرَأَيْتُكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ) مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِأَذْيَالِ أَوْصَافِكَ، فَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

(يَا مَنِ ٱسْتَوَى) أَيِ ٱسْتَوْلَى وَظَهَرَ (بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ) فَلَمْ يَنْتَهِ العَرْشُ إِلَّا لِلعِلْمِ بِالرَّحْمَانِيَّةِ وَلَمْ يَدُلَّ إِلَّا عَلَيْهَا، إِذْ هِيَ الَّتِي قُوبِلَ بِهَا حَتَّى وُجِدَ وَدَامَ لِثُبُوتِ غِنَى الحَقِّ وَٱفْتِقَارِ العَرْشِ إِلَيْهِ تَعَالَى، (فَصَارَ العَرْشُ غَيْبًا فِي رَحْمَانِيَّتِهِ) إِذْ لَوْلَاهَا مَا كَانَ لَهُ وُجُودٌ وَلَا بَقَاءٌ، (كَمَا صَارَتِ العَوَالِمُ غَيْبًا فِي عَرْشِهِ) فَكَمَا أَنَّ العَرْشَ مُحِيطٌ بِالكَائِنَاتِ حِسًّا فَالرَّحْمَةُ مُحِيطَةٌ بِهِ مَعْنًى، بَلْ هُوَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ المُوجِبَةِ لِظُهُورِ آثَارِ القُدْرَةِ وَالعِلْمِ وَالإِرَادَةِ كَأَدْنَى مِنْ أَقَلِّ شَيْءٍ يُدْرَكُ، فَسُبْحَانَكَ يَا مَوْلَايَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وَمَا أَعَزَّ سُلْطَانَكَ.

(مَحَقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ) فَغَيَّبْتَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، الحَقِيرَ فِي الخَطِيرِ، وَالصَّغِيرَ فِي الكَبِيرِ، حَتَّى إِنَّ الأَرَضِينَ فِي أَدْنَى السَّمَوَاتِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلَاةٍ، ثُمَّ هِيَ فِيمَا فَوْقَهَا كَذَلِكَ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ الجَمِيعُ فِي العَرْشِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلَاةٍ.

(وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ) ٱلَّتِي هِيَ العَرْشُ فَمَا دُونَهُ (بِمُحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الأَنْوَارِ) ٱلَّتِي هِيَ مَعَانِي الأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العُلَى ٱلَّتِي مَرْجِعُهَا بِالمَعْنَى إِلَى وَصْفِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَنَعْتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالإِلَـٰهِيَّةِ.

(يَا مَنِ ٱحْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ) وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ (عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ) فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، وَإِنْ وَعَدَهُمْ بِرُؤْيَتِهِ فِي تِلْكَ فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الرُّؤْيَةِ الإِدْرَاكُ لِلْكُنْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ رُؤْيَةُ وُجُودٍ، لَا أَنَّهُ فِي مَكَانٍ أَوْ مَحْدُودٌ.

(يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ) لِأَرْوَاحِ العَارِفِينَ وَأَسْرَارِ المُوَحِّدِينَ، (فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتَهُ الأَسْرَارُ) فَكَانَ ظَاهِرًا مِنْ جِهَةِ التَّعْرِيفِ، بَاطِنًا مِنْ جِهَةِ التَّكْيِيفِ، (كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ) وَمُظْهِرُ المَظَاهِرِ؟! (أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحَاضِرُ) الَّذِي لَا يَغِيبُ، وَالقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ؟! فَأَسْأَلُكَ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ ٱجْعَلْنَا لِعَظَمَتِكَ شَاهِدِينَ، وَتَحْتَ سُلْطَانِ جَلَالِكَ خَامِدِينَ، وَبِكَرَمِ جَنَابِكَ مُسْتَمْسِكِينَ، وَبِكَ فِي كُلِّ حَالٍ مُسْتَأْنِسِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(وَاللهُ المُوَفِّقُ) لِلعَمَلِ بِهَذَا الكِتَابِ، وَٱتِّبَاعِ مَا فِيهِ مِنْ حَقٍّ وَصَوَابٍ، (وَبِهِ أَسْتَعِينُ) عَلَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الخَاصَّ وَالعَامَّ، وَأَنْ يُوَفِّقَ لِتَحْقِيقِهِ مَنْ قَصَدَ النَّظَرَ فِيهِ بِإِنْصَافٍ مِنْ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ، وَأَنْ يَفْتَحَ عَلَى كَاتِبِهِ وَكَاسِبِهِ وَالنَّاظِرِ

فِيهِ بِمَا يُؤَمِّلُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ سَبَبًا فِي غُفْرَانِ ذَنْبِهِ وَسَتْرِ عَيْبِهِ.


دار الإمام ابن عرفة
تونس
